مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-41X
مجلد: 08 عدد: 01 السنة: 2022 E-ISSN:2588-2325

الأمن الثقافي في الوطن العربي في ظل العولمة الثقافية

Cultural security in the Arab world within the light of cultural globalization

أنس عرعار*، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، الجزائر، arrar_annes@yahoo.fr

بسام وزناجي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر ، الجزائر ، bessamoueznadji198805@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/22 تاريخ القبول: 2022/05/31 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية: إلى إلقاء الضوء على واقع الأمن الثقافي في الوطن العربي في ظل العولمة الثقافية، التي أصبحت تشكل خطرا على الخصوصيات الثقافية للمجتمعات العربية، سواء على المستويات الماكرو- سوسيولوجية: كالهوية، اللغة، الدين، وبعض المقومات الأخرى، أو على المستويات الميكرو- سوسيولوجية: كالقيم، الأخلاق، الأعراف...إلخ، ونظرا للتسارع التقني والتكنولوجي الكبير الذي كان له بالغ الأثر على جل المعطيات الاجتماعية والخصوصيات الثقافية ما سرّع من وتيرة التغيرات السوسيو-ثقافية اليوم في الوطن العربي، سنحاول من خلال هذه الورقة فهم الآليات والأهداف الظاهرة والكامنة التي تعمل العولمة الثقافية من خلالها وتسعى إلى تحقيقها في الوطن العربي، مع محاولة إيجاد حلول وقائية لتعزيز الأمن الثقافي .

الكلمات المفتاحية:

العولمة، الثقافة، الأمن الثقافي، الخصوصيات الثقافية، الخرائط الثقافية.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This searching participation aims at spotting the light on the actual cultural security in the Arabic Nation under the cultural globalisation which has become a real danger on the cultural privacy of the Arabic communities on both standards: the macro - sociological like the identity, the language, the religion and some other pillars; and on the micro - sociological side such as the ethics, the morals and the traditions... In view of the great technical and technological acceleration, which had a great impact on most of the social data and cultural peculiarities, it accelerated the pace of the socio - cultural changes witnessed in the Arabic Nation nowadays, we are trying through this study ,to understand the mechanisms and the clear as well as the hidden goals through which the cultural globalisation aims at realising in the Arabic Nation besides trying to find preventive solutions to strengthen the cultural security.

Keywords:

Globalization, culture, cultural security, cultural specificities, cultural maps

مقدمة:

تشهد المجتمعات العربية اليوم العديد من التغييرات السوسيو – ثقافية خاصة في ظل التكنولوجيا الحديثة، ما جعل العديد من الباحثين خاصة في مجال علم الاجتماع، يدقون ناقوس الخطر حول واقع الثقافة في الوطن العربي، حيث نلاحظ أن العديد من المقومات التي تشكل خصوصية هذه المجتمعات أصبحت مستهدفة بشكل معلن وغير معلن، وفقا لآليات في ظاهرها إيجابية لكنها تحمل الكثير من الأهداف الضمنية لتحقيق غايات استعمارية بمنظور جديد وبخلفيات لها جذور تاريخية، في ظل الصراع الحضاري السائد منذ القدم، لذلك جاءت هذه الدراسة لمحاولة تشخيص الواقع الثقافي وإبراز أهمية الأمن الثقافي كمعطى ضروري اليوم، للحد من المد الثقافي الغربي الذي أصبح بديلاً في ظل بعض المعطيات السوسيو- اقتصادية الراهنة؛ وبناء على هذا ستوضح هذه الورقة البحثية العديد من الجوانب التي تعكس واقع الأمن الثقافي في الوطن العربي وأهم التغيرات الناتجة عن العولمة الثقافية وكذلك الآليات والأهداف الظاهرة الكامنة للعولمة الثقافية في ظل المعطيات الراهنة بالإضافة إلى بعض التوصيات الوقائية للتصدي لهذه الظاهرة .

أهداف الدراسة:

1. التعرف على واقع الأمن الثقافي في الوطن العربي.

2. التعرف على آليات العولمة الثقافية.
3. التعرف على الأهداف الظاهرة والضمنية للعولمة الثقافية.
4. توضيح بعض التغيرات السوسيو- ثقافية الناتجة عن العولمة في الوطن العربي.
5. وضع توصيات ومقترحات علاجية ووقائية لتعزيز الأمن الثقافي في الوطن العربي.

1 - مفهوم العولمة الثقافية:

إن الحديث عن العولمة الثقافية يفرض علينا أولا، التطرق إلى مفهوم الثقافة كمعطى سوسيولوجي، ثم بعد ذلك تناول مفهوم العولمة كمفهوم أكاديمي مستقل، ومن ثم مفهوم العولمة الثقافية.

1.1.- مفهوم العولمة الثقافية:

لقد تباينت فئات تعريف الثقافة فكانت ثلاث فئات عامة، وهذا حسب ما تناوله ريموند وليامز في مقال له بعنوان تحليل الثقافة، حيث صنف الفئة الأولى وهي المثالية والتي يعد فيها تعريف الثقافة في شكل حالة أو سيرورة الكمال الإنساني، في ضوء مجموعة قيم معينة ومطلقة أو كلية، والتي تؤلف نظاما أزليا أو لها حالة دائمة للظرف الإنساني العام. أما الفئة الثانية لتعريف الثقافة، وهي الفئة التوثيقية، والتي يتمحور فيها مفهوم الثقافة حول مجمل العمل الفكري والخيالي والذي تدون فيه أفكار وتجارب الأفراد الإنسانيين تدوينا مفصلا ومتنوعا، وهذه الفئة هي قريبة من الفئة المثالية؛ لأنها عموما تختار أفضل ما يتم التفكير به وأفضل ما كتب في العالم في شكل تراكم لخبرات ومعارف ...الخ (كوش، 2007). أما الفئة الثالثة والأخيرة وهي التعريف الاجتماعي للثقافة، والذي تعتبر فيه الثقافة وصفا لطريقة حياة مجتمع معين، وتعبر عن معان وقيم ضمنية، وظاهرة ليست موجودة فقط في الفن والتَعلُم، بل في جميع مناحي الحياة الاجتماعية كتنظيم الإنتاج وبنية العائلات، بنية المؤسسات طبيعة العلاقات الاجتماعية، والأشكال المميزة التي يتواصل من خلالها أعضاء المجتمع ...الخ (حامد، 2017، صفحة 21)

وبناء على هذا يمكن اعتبار الحياة الثقافية في مستواها الواقعي في شكل منظومة متفاعلة لمجموع العناصر السابقة، ولهذا نجد أن النظرية الوظيفية تبحث في الثقافة كنسق في المنظومة الاجتماعية الشاملة، أو كمنظومة في حد ذاتها متكاملة ومتكيفة ومستقرة نسبيا، لها مكوناتها الخاصة، فتدرس أنساقها ومكوناتها ووظيفة ودور كل مكون من مكوناتها في اتساق المنظومة وتماسكها (إبراهيم حسن، 2007، صفحة 147)

ولقد تناول الأستاذ مالك بن نبي مفهوم الثقافة حيث أكد أن " الثقافة تشمل في معناها العام إطار حياة واحد يجمع بين راعي الغنم والعالم جمعا توجد بينها مقتضيات مشتركة، وهي تهتم

في معناها بكل طبقة من طبقات المجتمع في ما يناسبها من وظيفة تقوم بها، وما لهذه الوظيفة من شروط خاصة، وعلى ذلك فإن الثقافة تدخل في شؤون الفرد، وفي بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة كما تعالج مشكلة الجماهير (بن نبي، 1995، صفحة 79). وكذلك يعطي تعريفا يصف فيه وظيفة الثقافة فيقول " وإذا ما أردنا إيضاحا أشمل لوظيفة الثقافة، فنمثلها بوظيفة الدم، فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسد، والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة، والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة" (بن نبي، 1995، صفحة 78)

لذلك فالثقافة باختصار تشتمل على كل الأنشطة والاهتمامات المميزة لشعب ما، ولا تقتصر فقط على أقلية مميزة كما اعتقد بعض المفكرين من أمثال ماثيو آرنولد، ولكنها تضم كل الطبقات، فهي تضم العظيم والوضيع، والصفوة والعامة والمقدس والدنيوي (كوبر، 2008، صفحة 58)

إن المتأمل في التعريفات السابقة يجد أن الثقافة تحمل العديد من الدلالات التي تعكس كل جوانب الحياة الاجتماعية، فنجد أنها ترتبط بالمنتوج العلمي والأدبي، وكذلك ترتبط بالمثل العليا للمجتمع والأمة، وهي ترتبط أيضا بكل أشكال التفكير الاجتماعي، سواء على المستويات الماكرو كالهوية والدين واللغة ومقومات الأمة بصفة عامة، والميكرو- سوسيولوجية كالقيم والأخلاق والمعاملات وغير ذلك، فهي ترتبط بالنخبة كما ترتبط بالأفراد العاديين. وتمثيلها بالدم كسائل حيوي عضوي يؤكد أن أي خلل فيه قد يؤدي إلى اختلال في باقي مكونات الجسم، وهو ما يمكن إسقاطه على المجتمع، فأي خلل في الثقافة سيؤدي بالضرورة إلى اختلالات في باقي المكونات الاجتماعية الأخرى.

2.1.- العولمة

لقد أخذ مفهوم العولمة دلالات كثيرة، منها ما هو ذو دلالة اقتصادية ومنها ما هو ذو دلالات سوسيو- ثقافية ومنها ما هو ذو بعد سياسي ...الخ؛ ولذلك ستتناول الدراسة مجموعة تعريفات تعكس مدلول العولمة بشكل عام، فلقد عرفت بأنها " نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية، القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم، ودون اعتبار للحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم" (بريك، 2004، صفحة 92).

وقد عرفت كذلك بأنها "انسلاخ عن قيم ومبادئ وتقاليد وعادات الأمة وإلغاء شخصيتها وكيانها وذوبانها في الآخر...بحيث تقضي على الخصوصيات تدريجيا ليبقى الإطار العولمي هو وحده الموجود، فهي تقوم على تكريس النزعة الأنانية، وتعمل على تكريس الحياد وهو التحلل من كل التزام

أو ارتباط بأية قضية، وهي تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري، وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، مما يفقد الهوية الثقافية كل محتوى، فالعولمة عالم بدون دولة بدون أمة بدون وطن، إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية"

من خلال هذه التعريفات يتضح لنا جليا أن العولمة تحمل الكثير من الدلالات السلبية الضمنية في أهدافها وغاياتها، فهي تحمل أهدافا معلنة وأهدافا ضمنية، خاصة فيما يخص الجوانب الثقافية. ولا ننسى أن الكثير من الباحثين والهيئات العالمية تحصر مفهوم العولمة في البعد الاقتصادي، فقط حيث نجد أن صندوق النقد الدولي يعرفها بأنها " التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم الذي يحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود، إضافة لتدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار المتسارع للتكنولوجيا في أرجاء العالم كله " (بريك، 2004، صفحة 93) ، لكن لا ننسى أن الاقتصاد متغير مؤثر على باقي الأنساق الاجتماعية فعلى الرغم من أنها تحمل في مفهومها المجرد والقانوني محتوى اقتصادي غير أنها تحمل ضمنيا مدلولات عديدة خاصة في الجوانب السوسيو- ثقافية ، وسنوضح فيما يلي مفهوم العولمة الثقافية .

3.1.- العولمة الثقافية:

تعرف العولمة الثقافية بأنها " محاولة الاندماج والتقارب الثقافي بين الشعوب المختلفة وإزالة الفوارق الثقافية بينها ودمجها في ثقافة واحدة ذات خصائص مشتركة، تهدف إلى هيمنة ثقافة الأقوى على الثقافات الضعيفة من خلال تذويب ثقافة الآخر وتلاشيها ودمجها بثقافة عالمية واحدة ..." (الخلايلة، 2018، صفحة 252)

وقد عرفت أيضا بأنها " نسق موحد من القيم يقوم على خرق الهوية القومية الوطنية من خلال الاستلاب والتهجين ومحاربة الهويات الثقافية وتجزئتها.." (الخلايلة، 2018، صفحة 252). من خلال هاذين التعريفين يتضح لنا جليا بأن العولمة الثقافية تسعى إلى بناء نموذج ثقافي موحد بين جميع دول العالم تصبح فيه الحدود شفافة بين الدول إلى أن تصبح متجانسة في التفكير والشعور والفعل لخدمة الدول القوية وثقافة الأقوى، وذلك من خلال القضاء على ما يسمى بالخصوصية الثقافية التي تميز كل مجتمع عن الآخر بدون استثناء أي عنصر من عناصر الثقافة سواء القيم أو العادات أو التقاليد أو الدين وغير ذلك (نبار، 2018).

4.1.- الخصوصية الثقافية:

إن مفهوم الخصوصية الثقافية في الحقيقة حدده العلماء في الجماعات والفئات الصغيرة داخل المجتمع، فنجد أن **لينتون** عبر عنها بأنها المشاركة في بعض العناصر الثقافية لدى جماعة صغيرة دون الجماعات الاجتماعية الأخرى، حيث أنها تتضح في مجموعة أنماط سلوكية تشترك فيها جماعة معينة أو فئة دون أخرى، ولا يشترك فيها كافة أعضاء المجتمع. وهو ما يعطي بصمة الخصوصية الثقافية

لهذه الفئة. لكن لو تناولنا ولو أسقطنا هذا الطرح على المجتمع الدولي، نجد أن لكل دولة في إطار حدودها الجغرافية تحمل خصوصيات ثقافية، وهو ما يدل على أن الثقافة في مستوياتها المجردة متشابهة في خصوصياتها كالدين والعرف والقيم والتقاليد (السيد، 1999)، لكن هذه الأخيرة على المستويات الواقعية، فهي تختلف من مجتمع لآخر، وذلك نتيجة لبعض المعطيات التاريخية والبيئية والدينية والوطنية والهوية التي تجعل من دولة معينة عبارة عن مجتمع محلي يشترك أفراده في مجموعة عناصر تساهم بدورها في خلق روح الانتماء لمجتمع دون آخر، وكذلك نجد الدول المتقاربة ثقافيا أو التي تنتمي إلى دائرة ثقافية واحدة لها بعض المشتركات ، مما يجعل لديها خصوصية ثقافية، كما هو الحال في العالم العربي والإسلامي، فرغم بعض الاختلافات التي فرضتها البيئات الجغرافية والعوامل السياسية والتاريخية، إلا أنها تنتمي إلى ثقافة أم، تجعل منها مجتمعا محليا كبيرا ذا خصوصية ثقافية .

5.1.- الخرائط الثقافية:

إن مفهوم الخرائط الثقافية هو مفهوم مرتبط تقريبا بمفهوم الخصوصية الثقافية والدائرة الثقافية، فإذا كان مفهوم الخصوصية الثقافية يحمل في طياته مجموعة مشتركات في إطار جغرافي معين، كذلك مفهوم الخرائط الثقافية، فهو مرتبط بمجموعة مشتركات ثقافية تتميز بها مجموعة أقاليم جغرافية، ولكي نوضح هذا المفهوم أكثر، وجب التطرق أولا إلى مفهوم الدائرة الثقافية حيث عرفت بأنها مفهوم يعكس أوجه التشابه النسبي بين الثقافات أو التماثل بين ثقافة وأخرى، على الرغم من أنه لا يوجد تشابه مطلق بين ثقافة وأخرى، إلا أنه توجد بعض المؤشرات للتشابه خاصة في السمات الثقافية لدى المجتمعات التي تتقارب جغرافيا. من بعضها بعضا، فهي تميل إلى التشابه أكثر من المجتمعات المتباعدة جغرافيا. فهناك العديد من عادات الشعوب القريبة متشابهة، ومن المعروف عموما أن هناك احتكاكا بين الشعوب المتقاربة من خلال بعض المشتركات التاريخية والبيئية، وكذلك من خلال التنقل والتجارة وما إلى ذلك من الوسائل، فالفرد بإمكانه أن يكتسب سمة ثقافية من ثقافة غير ثقافته. من هذا المنطلق تم تجسيد مفهوم الدائرة الثقافية وهو تحديد المناطق الثقافية للشعوب التي تتشابه في بعض السمات الثقافية، ويطلق على المنطقة المتشابهة ثقافيا اسم الدائرة الثقافية.

ولقد قدم ويسلر في دراسته لثقافات الهنود الحمر الأمريكيين وتوصل إلى أنه. لو وجدنا مجموعة سمات ثقافية في وقت واحد، يتعلق بعضها مثلا بالأطعمة أو الخزف أو المنسوجات...الخ ونربطها بوحدات اجتماعية أو قبلية، لتوصلنا إلى وضع مناطق محددة المعالم ثقافيا تصنف حسب أوجه التشابه والاختلاف، ويعتبر هو أول من استخدم مفهوم الدائرة الثقافية، وقد جسدت بعض الخرائط للدوائر الثقافية، وكانت أول خريطة في إفريقيا سنة 1924 والتي وضعها **راتزل** وميز بين

بعض مناطق القارة الإفريقية، شعوب رعوية وأخرى شعوب زراعية، وقد قسم **دود** كذلك الثقافات حسب طبيعة الأنشطة الاقتصادية والاستهلاكية المختلفة، وهكذا استمر العديد من الدراسات والتعديلات والمعايير التي تحدد الدوائر الثقافية، لكن تبقى مجرد تقسيمات على مستوى التجريد، حددها الباحثون والمهتمون بشؤون الثقافة لتسهيل الدراسات الثقافية، لأنها ربما إذا جسدت واقعيا تأخذ دلالات النزعة القومية، لذلك تبقى مجرد آليات لتسهيل الدراسة (جلبي، 1984، الصفحات 84- 87)

من خلال هذا الطرح يتضح جليا أن الخرائط الثقافية عبارة عن حدود ثقافية مرتبطة بمجموعة أقاليم تتشارك فيما بينها في مجموعة سمات ومركبات ونماذج وأنماط ثقافية، تجعل نوعا من التجانس النسبي بين هذه المجتمعات، وهو ما دفع بالباحثين إلى الاهتمام بمفهومي الدائرة الثقافية والخرائط الثقافية لأغراض معرفية، ولو أسقطنا هذه المفاهيم على المستوى الواقعي، لو وجدنا أن الدول العربية والإسلامية تعبر عن خارطة ثقافية، رغم الاختلافات اللغوية والاختلاف في بعض عناصر الثقافة، إلا أنها تحمل العديد من المشتركات، خاصة في عنصر الدين الإسلامي، وبعض العادات والتقاليد والأعراف والتاريخ المشترك ..الخ .

صحيح يمكن القول أن هناك العديد من العموميات الثقافية التي تشترك فيها كل دول العالم بحكم تشابه الطبيعة الإنسانية، لكن تبقى بعض الاختلافات الجوهرية التي تميز مجموعة دول عن دول أخرى والتي يمكن أن تنعكس في الشرق والغرب مثلا. بعد توضيح كل ما يتعلق بالثقافة وبعض المفاهيم المرتبة بها والتي تعبر عن جوهر الدراسة يمكن التطرق إلى حجر الزاوية في الدراسة وهو مفهوم الأمن الثقافي.

6.1.- الأمن الثقافي:

يعرف الأمن الثقافي بأنه " الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة أي أنه حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج، وبمعنى آخر الشعور الذاتي بالانتماء القومي...فهو يسمح بالمحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة... والمحافظة على مقومات الثقافة وتأصيلها وتطويرها لتساير مستجدات العصر وتحولاته" (بوغديري، 2018، صفحة 129).

من خلال هذا التعريف للأمن الثقافي تتضح جليا أهمية الأمن الثقافي كمعطى ضروري أو كمناعة فكرية للمجتمعات من الخروقات الثقافية التي قد تصنع نوعا من الهشاشة الثقافية التي تحول دون تطور المجتمع في السياق الإيجابي الذي من المفروض أن تتجه نحوه. حقيقة أنه من خصائص الثقافة أنها متغيرة بالضرورة، لكن يجب أن يكون هذا التغيير عقلانيا يتماشى بالضرورة مع التغييرات الاجتماعية الأخرى، كي لا تكون هوة بين ما هو ثقافي وما هو مادي، لكن الخروقات

المشبوهة التي لا تتماشى مع المقومات والخصوصيات الثقافية، تعتبر زعزعة لثقافة المجتمع، ومن الممكن أن تؤدي به إلى خلق الكثير من الظواهر السلبية التي تؤثر على وحدة المجتمع وانتمائه وهويته، وخاصة فيما ما يخص عنصر الدين الإسلامي والأخلاق وباقي القيم الايجابية كالتضامن الآلي وروح الجماعة، لأن الانسلاخ عن الانتماء قد يؤدي إلى الشتات، ولو أسقطنا هذا الطرح على التعريف الذي وضعه **مالك بن نبي** للثقافة، والذي مثلها بالدم في جسم المجتمع، يمكن القول بأن الأمن الثقافي هو الميكانيزمات الدفاعية التي يقوم بها الدم في حالة دخول إي جراثيم قد تهدد الكائن الحي، كذلك الأمن الثقافي هو الميكانيزمات وآليات الدفاع التي يصنعها المجتمع للحفاظ على كيانه الثقافي .

2 - الخصوصيات الثقافية في الوطن العربي:

إن المطلع على التراث النظري الثقافي سيجد العديد من المكونات التي حددها المختصون السوسيولوجيون، والتي تعبر عن محتوى الثقافة، مثل القيم والدين والأخلاق والأعراف والقانون وغير ذلك من المكونات المحددة في الإطار التجريدي، لكن تبقى في المستوى الواقعي متشابهة، وذلك كما وضحنا في العنصر السابق، لذا يمكن أن نتطرق في هذا العنصر إلى بعض الخصوصيات الثقافية في الوطن العربي عموما، وذلك على اعتبار أن الوطن العربي يشكل دائرة ثقافية وخصوصية ثقافية وخارطة ثقافية وتتضح أهم هذه الخصوصيات فيما يلي:

أ- الدين الإسلامي:

يعتبر الدين الإسلامي من أهم الديانات السماوية التي تحمل العديد من القيم الأخلاقية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية الايجابية لكل المجتمعات والتي تنعكس بدورها في السلوك ونفسية الأفراد والجماعات وتحدد المعاملات وفقا لما هو مشروع وغير مشروع، فنجد أن أغلبية الدول العربية تشترك في عنصر الدين الإسلامي وهو أحد أهم عناصر الانتماء والوحدة العقائدية والذي يعتبره الكثير من الباحثين والمفكرين بأنه ثقافة في حد ذاته.

ب- القيم الوطنية:

تعتبر القيم الوطنية كل القيم المرتبطة بالوطن وحدوده وهويته ومقوماته، وهو ما يخلق روح الانتماء لوطن واحد دون غيره أو لأمة واحدة، وهي عموما مرتبطة بتاريخ الدفاع عن كل ما يمس بكرامة الوطن ومكوناته وحدوده وسيادته، وهي في الأصل قيم تساهم في بناء الوطن والتضحية من أجله، حيث نجد أن معظم الدول العربية لديها نوع من الوطنية المشتركة للدفاع عن العالم العربي خاصة في حالة وجود استعمار أو ما شابه ذلك وهو إحساس بالانتماء لمجتمع محلي واحد.

ت- الهوية:

تعتبر الهوية كمفهوم لها العديد من المعاني والدلالات، فهي ترتبط بمجموعة من الأبعاد الواقعية كالأصل واللغة والثقافة والحضارة والعرف والدين وغير ذلك، وما نلاحظه في المجتمعات

العربية رغم اختلاف مكوناتها السوسيو- تاريخية؛ إلا أنها تشكل هوية واحدة خاصة من حيث اللغة، والدين والحضارة وهو ما أوجد بعض الروابط السيكولوجية والاجتماعية بين أفراد المجتمعات العربية.

إن كل هذه العناصر الثلاثة المذكورة أعلاه في الحقيقة هي عبارة عن عناصر ماكرو - سوسيولوجية تحمل في مضامينها الكثير من العناصر والمؤشرات الميكرو- سوسيولوجية من السلوكات والقيم المتداخلة فيما بينها، والتي تعبر عن الخصوصية الثقافية لمجتمعات العالم العربي.

3. - العولمة الثقافية الآليات ولأهداف:

من خلال سردنا لأهم المفاهيم الجوهرية في الدراسة يمكن أن نوضح أهم الأهداف التي تسعى العولمة الثقافية لتحقيقها فكما ذكرنا سابقا بأن هناك أهدافا كامنة وأهدافا ظاهرة سنوضح في هذا العنصر أهم هذه الأهداف.

إن العولمة الثقافية خاصة اليوم في ظل المعطيات التكنولوجية الحديثة، تمكنت إلى حد بعيد من وضع آليات تسعى إلى التحكم في واقع الشعوب العربية، فهي تسعى إلى خلق نموذج عالمي متجانس على حساب الخصوصيات التي ذكرناها سابقا. فهي تسعى إلى تحطيم كل المقومات التي تميز الشعوب العربية والإسلامية على وجه الخصوص، وبناء قيم جديدة حتى تستطيع التحكم في فكر هذه الشعوب وسلوكاتهم، ويرى الكثير من الباحثين أن الدولة القوية اليوم في ظل العولمة لديها ثلاثة تخوفات أو فوبيا وهي : التخوف من التضخم السكاني في الدول الإسلامية والعربية والتي سوف تمثل 40 % من سكان العالم ، التخوف من الإسلام والتخوف من التطور التكنولوجي الآسيوي ، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية فهي تسعى إلى الهيمنة المطلقة على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا ، وهي تسعى كذلك إلى ضرب القيم الإسلامية ومحاولة استبدالها بقيم غربية – أمريكية أو كما تسمى بأمركة الثقافة (بن عزيمة، 2011، صفحة 90) وهي تستخدم الكثير من الآليات سوسيو- اقتصادية تحمل في طياتها محمولات ثقافية، خاصة ما تعلق بالقيم الفردانية، وهي الأساس الذي يحمله النظام الاقتصادي الرأسمالي المهيمن اليوم على الاقتصاد العالمي، وقد حدد البعض من الباحثين أهم الوسائل المستخدمة كآليات للعولمة الثقافية وهي:

1- وسائل الإعلام والاتصال الحديثة بكل أنواعها المكتوبة والمسموعة والمرئية، فهي تروج للعديد من القيم تحت شعار الحرية والإنسانية ومن أجل حياة أكثر حضارة، لكنها في الحقيقة تسعى لتحطيم الكثير من القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات العربية التي تفقد اليوم المناعة الثقافية وتفقد الأمن الثقافي لحماية أفرادها من كل هذه الخروقات الإعلامية.

2- الهيئات والمنظمات والمحافل الدولية والإقليمية والسياسية.

3- المنظمات العالمية ذات الطابع الاقتصادي مثل صندوق النقد الدولي والذي يفرض على الشعوب الضعيفة آليات اقتصادية جديدة تحمل قيما ثقافية خاصة قيم الفردانية.

4- المنظمات الدولية ذات الطابع الاجتماعي والبيئي والصحي والإنساني مثل منظمة الصحة العالمية ومنظمة البيئة والسكان وغير ذلك.

5- الهيئات والمنظمات والتجمعات العالمية والإقليمية مثل منظمة الثقافة والعلوم.

6- الرسائل الثقافية والفنية والأدبية واللغوية والدينية والتربوية والتي تنعكس في الموسيقى العالمية، والسينما، والمسرح، والفن ومحاولة فرضها عالميا (بريك، 2004، صفحة 94).

إن كل هذه الآليات تسعى جاهدة إلى محاولة بناء نموذج ثقافي عالمي، تتلاشى فيه كل مقومات الأمة العربية والإسلامية على وجه الخصوص، حتى تبقى الثقافة القوية هي المتحكمة وهي المهيمنة، خاصة وأن كل العناصر المذكورة في الخصوصيات الثقافية للوطن العربي تشكل خطرا على بقاء الدول العظمى، فبالتالي يجب محوها من المجتمع العالمي، وبناء نمط ثقافي وآليات تفكير جديدة. فهي حقيقة تحمل في شعاراتها المعلنة قيما تحمل دلالات إيجابية، لكنها في أهدافها الضمنية تحمل الكثير من القيم السلبية على الوطن العربي خدمة لمصالحها الاقتصادية والثقافية حفاظا عللا بقائها .

4 - العولمة الثقافية ومحاولة بناء خرائط ثقافية جديدة:

من خلال طرحنا للآليات والأهداف يمكن القول أن العولمة الثقافية تسعى إلى محو كل الخصوصيات والثوابت التي تتميز بها الأمة العربية، وإلغاء الخارطة الثقافية التي تحدد معالم الوطن العربي بكل ثوابته، ومحاولة بناء خارطة ثقافية جديدة، خاصة وأن الوطن العربي اليوم يفتقد كثيرا للأمن الثقافي، نتيجة لضعفه اقتصاديا وسياسيا ودينيا، فهو في حالة استسلام لكل ما هو جديد بدون وجود آليات دفاع حقيقية تواجه المد الثقافي العالمي، فكما يقل العلامة **ابن خلدون:**

-المغلوب مولع بتقليد الغالب - فربما نجد أن العالم العربي يحاول مواجهة الاستعمار بمفهومه المادي، لكنه يفقد المناعة الثقافية لمواجهة الاستعمار الثقافي الذي يتسرب من خلال الثغرات التكنولوجية والمنظمات العالمية، إذ أن هذه الهشاشة التي تسيطر على العالم العربي اقتصاديا جعلت منه وعاء لتقبل كل ما هو جديد، بهدف الحفاظ على استمراره وعلى سلامته الشكلية ، وهو ما يعبر على أن الآليات الاستعمارية لكلاسيكية ذات الطابع الحربي والاستعمار المباشر، التي أصبحت آليات قديمة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية؛ بل هي في الحقيقة كانت مقدمات وأرضية خصبة للاستعمار الثقافي الذي نشهده اليوم، وهو ما يدل بدون شك أن محاولة بناء الخارطة الثقافية الجديدة هي مشروع قديم في ظل الصراع الحضاري التاريخي، لكن فقط اختلفت الآليات الاستعمارية.

5 - التغييرات السوسيو- ثقافية في الوطن العربي في ظل العولمة الثقافية:

إن ما نلاحظه اليوم كباحثين سوسيولوجيين أن هنالك العديد من التغييرات التي مست الجوانب السوسيو- ثقافية في المجتمعات العربية ، خاصة في الجوانب القيمية والأخلاقية والدينية والوطنية والهوية، فالكثير من الشباب اليوم ينسلخون من قيمهم الاجتماعية والثقافية الصحيحة، ويتخذون من ثقافة المجتمعات الغربية نموذجا للعيش، سواء من حيث اللباس، تسريحات الشعر، طبيعة الغناء، الاقتداء بالشخصيات والفنانين الغرب، وكذلك انتقاد كل ما هو عربي وكل ما ينتمي للهوية العربية حتى اللغة، أصبحت اللغات الأخرى الغربية هي الدلالات على تحضر الفرد العربي أو تخلفه، كذلك عدم الاهتمام بالوطن والقضايا الوطنية والاهتمام فقط بالقضايا الهامشية والآنية، حيث أصبحت النزعة الفردية هي السائدة. هذا بالإضافة إلى سيطرة القيم المادية البحتة على القيم الروحية والأخلاقية، وأيضا تراجع واضح لقيم الدين الإسلامي في سلوك الفرد العربي، خاصة في جانب المعاملات سواء في العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية وأيضا ظهور الكثير من الفوارق الاجتماعية غير المعقولة، وهي ما يوضح ثقافة البقاء للأقوى وهي من القيم الرأسمالية، وكثرة الهجرة غير الشرعية لأسباب موضوعية وغير موضوعية وهو ما يدل على رؤية المجتمعات الغربية بأنها مجتمعات مثالية، كذلك نجد ظهور العديد من المنظمات العربية بغطاء حقوقي وإنساني تخدم الثقافة الغربية، وتسعى إلى خرق العديد من الثوابت الاجتماعية للوطن العربي.

إن كل هذه المعطيات السائدة اليوم توضح بما لا يدع مجالا للشك، بأن الأمن الثقافي في المجتمعات العربية غائب تماما وهو ما قد يسهل الطريق لسيطرة العولمة الثقافية بكل القيم التي تحملها وتحقق أهدافها بسهولة.

6 - توصيات لتعزيز الأمن الثقافي في الوطن العربي:

من خلال الأطروحات السابقة يمكن وضع مجموعة من التوصيات كآليات لتعزيز الأمن الثقافي في الوطن العربي.

1- بناء اقتصاد محلي قوي لكل دولة عربية حتى لا تبقى رهينة للاقتصاد الغربي.
2- تعزز ثقافة القراءة والمطالعة لحماية الفرد ثقافيا من كل الخروقات الثقافية الغربية.
3- تعزيز القيم الدينية في ظل نموذج حضاري عربي وإسلامي يراعي جميع المعطيات الزمانية والمكانية السائدة اليوم.
4- تقوية البرامج التربوية والبيداغوجية لتعزيز قيم الوطنية والهوية العربية والإسلامية.
5- الاهتمام بالشباب خاصة من حيث الجوانب القيمية والأخلاقية ومحاولة كسر كل القيم الوافدة والمشبوهة والتي لا صلة لها بالخصوصية الثقافية في الوطن العربي.

6- محاولة السيطرة على التكنولوجيا الحديثة والتنبيه لأخطارها خاصة لدى فئة الشباب والمراهقين.

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يكمن القول أن الوطن العربي اليوم في حاجة إلى تجديد نفسه ثقافيا واقتصاديا وسياسيا، فكل المعطيات الحالية تدل بشكل واضح على غياب الأمن الثقافي ، ما جعل الوطن العربي اليوم رهينة لكل أشكال الخروقات التي تستعملها العولمة لتحقيق أهدافها؛ لذلك وجب على كل الفاعلين الاجتماعيين والنخبة إعادة النظر في الواقع السوسيو- ثقافي العربي بصورة عميقة ، ومحاولة الحد من كل التيارات التي تهدد الواقع الثقافي ؛لان الثقافة هي القاعدة الأساسية التي يمكن من خلالها بناء نموذج حضاري قوي في جميع مجالات الحياة الإنسانية، حقيقة يمكن القول أن محاولة بناء مشروع ثقافي عربي إسلامي في ظل المعطيات الراهنة و المتسارعة أمر صعب، لكن يمكن وضع استراتيجيات بعيدة المدى تشارك فيها كل التخصصات خاصة في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية للتحرر من القيود الثقافية غير المرئية التي تسعى العولمة لتحقيقها على حساب مقومتنا.

قائمة المراجع والمصادر

إبراهيم حسن, س .(2007) .*الثقافة والمجتمع* .دمشق: دار الفكر.

الخلايلة, ا. ب .(10 06 ,2018) .أبعاد العولمة الثقافية على الهوية العربية في عصر الأحادية القطبية .*مجلة التراث*.252 .p ,

السيد, ا. ع .(1999) .*المجتمع والثقافة والشخصية: دراسة في علم الاجتماع الثقافي* .الاسكندرية, مصر: دار المعرفة الجامعية.

بريك, ا .(2004) .*الثقافة الوطنية وتحديات العولمة* .الجزائر: شركة مزوار.

بن عزيمة, ع .(2011) .*أطروحات الصراع والتثاقف في زمن العولمة* .الرباط، المغرب: منشورات عالم التربية.

بن نبي, م .(1995) .*مشكلة الثقافة*) .ع. ا. شاهين (.Trad ,دمشق: دار الفكر.

بوغديري, ك .(05 03 ,2018) .الأمن الثقافي المغاربي وتحديات العولمة .*مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط*.129 .p ,

جلبي, ع. ع .(1984) .*دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية* .بيروت, لبنان: النهضة العربية.

حامد, خ *22* .(2017) .*غبش المرايا :فصول في الثقافة والنظرية الثقافية* .ميلانو ايطاليا: دار المتوسط.

كوبر, آ .(2008) .*الثقافة التفسير الأنثروبولوجي*) .ف. تراجي (.Trad ,الكويت: المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب, سلسلة عالم المعرفة 349.

كوش, د .(2007) .*مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية*) .م. السعداني (.Trad ,بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

نبار, ر .(05 12 ,2018) .ظاهرة العولمة تجلياتها وتأثيراتها .*مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية ،جامعة الوادي*.